أولاً
كتاب العين

يُنسَبُ كتابُ (العينِ) لإمامِ اللُّغةِ الخليلِ بنِ أحمدَ (ت:١٧٥)، رواهُ عنه تلميذُه اللَّيثُ بنُ المظفرِ بنِ نصرِ بنُ سيَّارٍ، وقدْ شَكَّكَ بعضُ العلماءِ في صِحَّةِ هذه النِّسبةِ[*]؛ كالنَّضْرِ بنِ شُمَيلٍ (ت:٢٠٣)[١]، وأبي حاتمٍ السِّجستانيِّ (ت:٢٥٥)[٢]، وأبي عليٍّ القاليِّ (ت:٣٥٦)[٣]، والأزهريِّ (ت:٣٧٠)[٤]، والزُّبيديِّ (ت:٣٧٩)[٥].

وبِتصفُّحِ الكتابِ ظهرَ لي ما يأتي:

١ ـ أنَّ فيه إبداعاً يُناسبُ عقلَ الخليلِ بنِ أحمدَ (ت:١٧٥).

(*) اطَّلعت أثناء تصحيح الكتاب على دراسة للدكتور إبراهيم السامرائي بعنوان «حكاية كتاب العين وما قيل في نسبته إلى الخليل أحمد الفراهيدي»، ينظر: مجلة الحكمة (ع٢٢، ص٣١٩ ـ ٣٨٨).

(١) معجم الأدباء (١٧: ٥١).

(٢) المزهر في علوم اللغة (١: ٨٣ ـ ٨٤).

(٣) المزهر في علوم اللغة (٨٣ ـ ٨٤).
وأبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن هارون، نزل بغداد، وأخذ عن علمائها: ابن دريد وابن الأنباري وغيرهما، ثمَّ خرج إلى الأندلس، وأقام فيها، ومن أشهر كتبه الأمالي والنوادر، والبارع، توفي سنة (٣٥٦). ينظر: إنباه الرواة (١: ٢٣٩ ـ ٢٤٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦: ٤٥ ـ ٤٧).

(٤) المزهر في علوم اللغة (١: ٧٩ ـ ٨٠).
والزُّبيديُّ: محمد بن الحسن الأندلسي (ت:٣٧٩)، صاحب طبقات النحويين واللغويين ومختصر العين. ينظر: مقدمة محقق طبقات النحويين.

(٥) تهذيب اللغة (١: ٢٨ ـ ٢٩).



٢ ـ أنَّ اللَّيثَ قد أدخلَ عليه تعليقاتٍ وسماعاتٍ سَمِعَهَا من الأعرابِ، وقد كانَ يَنُصُّ عليها أحياناً؛ كقوله: «قلتُ لأبي الدُّقَيش[١]: هلْ لَكَ في زُبْدٍ ورُطَبٍ؟»[٢].

٣ ـ أنَّ هناكَ تعليقاتٌ أُدخِلَتْ على نصِّ كتابِ العينِ من غيرِ اللَّيثِ، مثلَ ما وردَ من تعليقٍ على لفظةِ «يد» حيثُ وردَ ما يأتي:

«قال أبو أحمد حمزةُ بنُ زرعةَ[٣]: قوله: «يد» دخلَها التَّنوينُ، وذكر أنَّ التنوينَ إعرابٌ»[٤].

ولهذا تجدُ في كتابِ (العينِ) أسماءَ أشخاصٍ كانوا بعد الخليلِ (ت:١٧٥) بزمنٍ[٥]، وليس في هذا تضعيفٌ لصحَّةِ نسبةِ الكتابِ؛ لأنَّ بعضَ النُّسَّاخِ كانَ يُدخِلُ تعليقاتِ العلماءِ في نَصِّ الكتابِ؛ لظهور ذلك عنده، ولثقتِه بعدم خفاء ذلك على من يَطَّلِعُ عليه من العلماء[٦].

ويبدو ـ والله أعلمُ ـ أنَّ أصلَ الكتابِ للخليلِ بنِ أحمدَ (ت:١٧٥)، وأنَّ عليه زياداتٍ زادَهَا تلميذُه اللَّيثُ بنُ المظفَّرِ، ثم زِيدَ على بعضِ نُسَخِهِ أقوالٌ لبعضِ المتأخرين.

وسواءٌ أكانَ كتابُ (العينِ) للخليلِ بنِ أحمدَ (ت:١٧٥)، أمْ كانَ لتلميذِهِ اللَّيثِ بنِ المظفَّرِ، فإنه يُعَدُّ أوَّلَ مؤلَّفٍ معجميٍّ رُتِّبَ على الحروفِ الهجائيَّةِ.

---

(١) ذكره القفطي في الأعراب الذين دخلوا الحاضرة. إنباه الرواة (٤:١٢١).

(٢) العين (١:٥٠)، وينظر: (١:١٩٠، ٢٨٨).

(٣) لم أعرفه.

(٤) العين (١:٥٠)، وينظر: (١:٥٣).

(٥) من أمثلةِ الأعلامِ الذين ورد ذكرهم: الأصمعي (ت:٢١٥)، ورد في (١:٨٩)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤) ورد في (٣/١٢٩).

(٦) ينظر ـ على سبيل المثال ـ نصًّا للزجاجِ (ت:٣١١) مقحماً في كتاب تفسير غريب القرآن (ص:٣٩٦) لابن قتيبة (ت:٢٧٦)، وغريب القرآن (ص:١١٠)، لابن عزيز السجستاني (ت:٣٣٠) حيث ورد اسم أبي عمر الزاهد (ت:٣٤٥) وابن خالويه (ت:٣٧٠).

والعجيبُ أنَّ ناقدي كتابِ (العين) من معاصريه ومنْ بعدهم، لم يشيروا إلى إمامةِ كتابِ (العينِ) في التَّصنيفِ على حروفِ المعجمِ، ومحاولتِه جمعَ ما جاء عن العربِ في هذا المؤلَّفِ، وهذا إبداعٌ كانَ يلزمُ له الإذعانُ والقبولُ.

ووقوعُ الخطأ فيه ـ إنْ صحَّ ذلكَ ـ لا يجعلُهُ منبوذاً لا تصحُّ الاستفادةُ منه! إذ كان يكفي في ذلك بيانُ مواطنِ الخطأ فيه من هؤلاءِ العلماءِ؛ لأنَّ ذلك هو دأبُهم مع غيرِه من الكتبِ التي انتقدوها، حيثُ كانَ لهم تعليقاتٌ وردودٌ على كثيرٍ من الكتبِ، ولم يكنْ في ذلكَ غَضٌّ وانتقاصٌ من الكتابِ المردود عليه، ولا من مؤلِّفِهِ.

ولمَّا كانَ كتابُ (العين) معجماً يسيرُ على الحروفِ، فإنَّ منهجَه في التَّفسيرِ له شَبَهٌ بكتبِ (غريب القرآن) التي تذكرُ اللَّفظَ القرآنيَّ ثمَّ تبينُ معناهُ. وكتبُ معاجم الحروف تفعلُ ذلكَ، حيثُ تذكرُ اللَّفظَ القرآنيَّ، ثمَّ تبينُ معناهُ في لغةِ العربِ، وقدْ تستشهدُ على ذلكَ بأشعارِ العربِ.

ومن صور تفسير ألفاظ القرآن في كتاب (العين)، ما يأتي:

أولاً: بيانُ معنى اللفظةِ القرآنيةِ دونَ ذكر شاهدٍ عليها:

وهذا عليه أغلبُ التَّفسيرِ اللُّغويِّ في كتابِ (العين)، ومنْ ذلكَ:

١ ـ قولُه: «والمُهْطِعُ: المقبلُ ببصرِهِ على الشيءِ لا يرفعُهُ عنه، قال اللهُ ﷻ: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]»[(١)].

٢ ـ وقال: «الجَنَفُ: الميلُ في الكلامِ وفي الأمورِ كلِّها، تقولُ: جَنَفَ فلانٌ علينا، وأجنفَ في حكمِهِ، وهو شبيهٌ بالحَيفِ، إلَّا أنَّ الحيفَ من الحاكمِ خاصَّةً، والجَنَفُ عامٌّ، ومنه قولُ الله ﷻ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ

(١) كتاب العين (١:١٠١)، وينظر: (١:١٣٧، ١١٩، ١٤٠، ١٤٦، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٩٨، ٣٠٥)، (٢:١٧، ٢٩، ١٠٥)، (٣:٥٣، ٥٩)، (٧:٦، ٧، ٢٩، ٤٤، ٥٣)، وغيرها كثيرٌ.



جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢]، وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣]؛ أي: متمايلٍ متعمِّدٍ»(١).

وقدْ يُتبعُ تفسيرَه اللُّغويَّ للَّفظةِ بذكرِ معناها في الآيةِ على جهةِ تفسيرِ المعنى المرادِ بها في الآيةِ، لكنه قليلٌ جداً، ومنْ ذلكَ قوله: «الدَّعُّ: دفعٌ في جفوةٍ، وفي التَّنْزيلِ العزيزِ: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]؛ أي: يُعَنِّفُ به عنفاً شديداً ودفعاً وانتهاراً؛ أي: يدفعُه حَقَّهُ وصِلَتَهُ»(٢).

ففي هذا المثال تراه بينَ المعنى المرادَ بالآيةِ بعد ذِكْرِه المعنى اللُّغويَّ للَّفظةِ، وكأنه يريدُ أنْ يقولَ: إن الدَّعَّ ـ وإنْ كانَ في اللُّغةِ بمعنى الدفعِ ـ يدخلُ فيه منعُ حقِّ اليتيمِ وصلتِهِ، والله أعلم.

ثانياً: الاستشهاد بالشعر على معنى اللفظة القرآنية:

لقدْ كانَ الاستشهادُ بالشعرِ قليلاً في كتابِ العينِ، إذا ما قِيسَ بالكلماتِ القرآنيَّةِ التي أوردَ بيانَ معناها في لغةِ العربِ، ومن أمثلةِ الاستشهادِ بالشِّعرِ ما يأتي:

١ ـ قال: «وكُبْرُ كلِّ شيءٍ: عُظْمُه، وقولُه ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١] يعني عُظْمَ هذا القَذْفِ. ومن قرأ: «كِبْرَهُ»(٣) يعني: إثمَه وخِطْأَهُ. قال علقمة(٤):

---

(١) كتاب العين (٦:١٤٣).

(٢) كتاب العين (١:٨٠). وينظر: (١:٢٦٠)، (٧:٤٤، ١٠٨، ٢٠٤).

(٣) القراءة المتواترة بكسر الكاف، والأخرى بضم الكاف، قال ابن جني: «ومن ذلك قراءة أبي رجاء وحميد ويعقوب وسفيان الثوري وعمرة بنت عبد الرحمن وابن قطيب: ﴿كُبْرَهُۥ﴾ بضم الكاف. قال أبو الفتح: من قرى كذلك أراد عُظْمَهُ، ومن كسر فقال: ﴿كِبْرَهُۥ﴾ أراد: وِزْرَه وإثمه، قال قيس بن الخطيم:
تَنَامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِهَا فَإِذَا ... قَامَتْ تَكَادُ تَنْغَرِفُ

(٤) ديوانه، بشرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: حنا نصر (ص:٧٩).



بَدَتْ سَوابِقُ مِنْ أُولَاهُ نَعْرِفُهَا وَكُبْرُهُ فِي سَوَادِ اللَّيلِ مَسْتُورُ»[(١)]

٢ ـ قال: «والرَّجْوُ: المبالاةُ، يقال: ما أرجو؛ أي: ما أُبالي، من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون ولا تبالون، وقال أبو ذؤيب[(٢)]:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيتِ نُوبٍ عَوَاسِلُ

أي: لم يكترث»[(٣)].

ثالثاً: تفسير ألفاظ قرآنية دون ذكر الآية:

يكثرُ في كتبِ المعاجمِ بيان معاني ألفاظٍ قرآنيةٍ دونَ ذكرِ الآيةِ التي ورد فيها هذا اللفظُ، وفي كتابِ العينِ من هذا القبيلِ كثيرٌ[(٤)]، ومنْ أمثلتِهِ:

١ ـ قال: «وعُقْدَةُ النكاحِ: وجوبه»[(٥)]. وفي القرآنِ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

٢ ـ وقال: «وبئرٌ معطلةٌ؛ أي: لا تُورَدُ ولا يُسْقَى منها»[(٦)]. وفي القرآنِ قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

---

(١) كتاب العين (٤:٣٦١)، وينظر: (١:٨٠، ٩٩، ١٠١، ١٧٠، ٢٩٠)، (٢:٥٤)، (٣:٥٥، ١٣٢، ١٤٤، ١٦٤، ١٨٣، ٢١٨، ٢٤٨، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٨٠)، (٤:٧، ٨٣، ١٠٤، ٢٦٦، ٣٦٠، ٤١٨)، (٥:٣٨، ١٥٦، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٢٠، ٣٢٨)، وغيرها.

(٢) ديوان الهذليين (١:١٤٣).

(٣) كتاب العين (٦:١٧٦ ـ ١٧٧).

(٤) ينظر في الجزء الأول ـ مثلاً ـ الألفاظ الآتية: العهن (ص:١٠٨)، بخع (ص:١٢٣)، صعق (ص١٢٩)، القارعة (ص:١٥٦)، العلق (ص:١٦١)، نعق (ص:١٧١)، العشار (ص:٢٤٧)، العرش (ص:٢٤٩)، العصف (ص:٣٠٦)، وغيرها.

(٥) كتاب العين (١:١٤٠).

(٦) كتاب العين (٢:٩).



٣ ـ وقال: «وقَطَعَ اللهُ دَابرهم، أي: آخرُ منْ بقيَ منهم»[١]. وفي القرآنِ قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٥] وغيرها.

رابعاً: توجيه القراءات:

لا يخلو كتابٌ في مفرداتِ اللغةِ العربيَّةِ ـ ككتابِ العينِ وجمهرةِ اللغةِ وغيرِها ـ من توجيه القراءاتِ، وإن كان الاختلاف إنما يكونُ في القلَّةِ والكثرةِ في إيرادِ القراءاتِ المختلفةِ وبيانِ معانيها.

ومما وردَ في كتابِ (العين): «وتقرأ الآية: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٦]؛ أي: مستعدُّون، ومنْ قرأ «حذرون»[٢]؛ فمعناه: إنا نخافُ شرَّهُم»[٣].

هذا، ولا يخلو كتابُ (العين) من تفسيرِ شيءٍ من الأساليبِ العربيَّةِ، أو ذِكرِ شيءٍ منْ أسبابِ النُّزولِ وقَصَصِ الآي، أو بيانِ معنى الآيةِ، غير أنَّ ذلكَ قليلٌ جداً، إذ أنَّ جُلَّهُ ـ كما سبق ـ في بيانِ معاني المفرداتِ.

ومنْ أمثلةِ ذلكَ ما يأتي:

١ ـ وقال: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]؛ أي: جماعتُهم، ولو كانتْ للأعناقِ خاصةً، لكانتْ خاضعةً وخاضعاتٍ.

ومنْ قالَ هي الأعناقُ، والمعنى على الرجالِ، رَدَّ نُونَ خاضعين على أسمائِهم المضمرةِ»[٤].

---

(١) كتاب العين (٨: ٣٢).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بإثبات الألف (حاذرون)، وقرأ الباقون بحذفها (حذرون). ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٤٧١).

(٣) كتاب العين (٣: ١٩٩)، وينظر: (١: ٢٩٥، ٣٦٤)، (٣: ٢٧، ١٥١، ٢٢٣)، (٦: ٦٦٦)، (٧: ١٠، ٢٩٥).

(٤) كتاب العين (١: ١٦٨).



٢ ـ وقال: «والله يَكْنِي عن الأفعالِ، قال اللهُ ﷻ: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]: كَنَى عنِ النِّكاحِ»(١).

ومما يتعلق بقصص الآية قوله: «ونتقتِ الملائكةُ جبلَ الطورِ؛ أي: اقتلعوه من أصلِه حتى أطلعوه على عسكرِ بني إسرائيلَ، فقال موسى ﵇: خذوا التوراةَ بما فيها، وإلَّا أُلقِيَ عليكمْ هذا الجبلُ، فأخذوها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]»(٢).

---

(١) كتاب العين (١: ٢٤١)، وينظر: (١: ٢٣٢)، (٦: ٣١، ٨١)، (٧: ١٠٨).

(٢) كتاب العين (٥: ١٢٩ ـ ١٣٠)، وينظر: (٢: ١١٩)، (٥: ٧٤).

